الموت عند شعراء الغزل في العصر الأموي

الكلمات المفاتيحية: (موت. غزل. حياة. شعر)

م.د جاسم عبد الواحد راهي م.د مسلم مالك بعير الأسدي

كلية العلوم الاسلامية / جامعة كربلاء

ملخص البحث

على رغم من كون الموت ظاهرة متكررة ومعتادة، ولاسيما أنَّه يعد من البديهيات لدى العقل الواعي، والتفكير المنطقي، إلا أنَّه ما زال يشغل حيزاً كبيراً من تفكير الإنسان ولاسيما الشعراء منهم، إذ إنَّ مأساته تزداد عمقاً كلما شارف على أبواب شيخوخته، ووصل إلى نهاية عمره؛ وأصبح قريباً من العودة إلى ثراه الذي جاء منه.

ولكن هذه الآية تتجلى في أماكن تخرج من عرفها ونطاقها الموضوع لها فإن هذا الكائن المخيف يتحول عند مجموعة من الناس إلى رفيق مطلوب، وأمر مستحب ومرغوب، يبحث عنه صاحبه بطرق متعددة، فتزداد حاجته، حتى يساوي في مقداره الحياة بل يتجاوزها في بعض موارده إلى مطلب يتمنون تحصيله بل يعدونه رحمة وراحة أبدية وسكينة ودعة.

من هنا انطلقت رحلة البحث لتغمر عباب أشعار هذه المجموعة ونقصد بها (شعراء الغزل الأموي) لتكشف سبب تفشي هذه الظاهرة لديهم وتبين عن أن النظرة للموت، هل كانت متساوية أم لا؟ وهل أختص بها شعراء الغزل العذري أم شعراء الغزل المحسوس؟ ببحث موسوم بـــ (الموت عند شعراء الغزل في العصر الأموي).

وقد أبرز الصلة الكبيرة بين الحب والموت والحياة فالحب ينسي الإنسان ما يعانيه من إحساس بالذات والقلق والخوف من الموت لأنه ينسي الإنسان متاعب الشعور بالذات وفقدان الحب يؤدي إلى الشعور بالغربة والضياع والقلق النفسي والتفكير بالموت والفناء.

لقد تداخلت دلالة الموت مع الزمن لدى شعراء الغزل وانعكس على العمل الشعري الذي أنتجوه فجاءت أشعارهم وكأنها تعبير حي عما يدور بخواطرهم من هموم جعلتهم يفكرون بالموت طالبين قدومه عله يقصر من مدة عذابهم الدنيوي. ومع هذا لابد من الإشارة إلى أن الدراسة انحصرت في سبعة شعراء فقط امتاز شعرهم بان اغلبه كان في غرض واحد هو الغزل مبتعدة عن شعرهم في أغرضهم الأخرى، حتى مع ورود مفردات الموت فيها وما ذلك إلا لتنحصر الدراسة في مطلب خاص هو موضوع البحث.

والحمد لله رب العالمين.

Death when poets spinning in the Omayyad period

Keywords: (death. Yarn. Life. Poetry)

MD Jassim Abdul Wahid Rahi MD Muslim Malik AL-Asadi
Faculty of Islamic Sciences / University of Karbala

Research Summary

Thankfully in the transcendent greatness mastermind of the things his will, and peace and blessings be upon His creation Brith ring prophets and His Messenger, and the divine from each house and Almentajabin of his companions.

And yet...

In spite of the fact that death frequent and unusual phenomenon, especially that it is one of the axioms to the conscious mind, logical thinking, but it still holds a great deal of human thinking, especially poets of them, since the tragedy deepening whenever nearing the doors of his old age, and reached the end of its life ; became soon return to rest his soul he came from.

But this verse is reflected in places graduated from known and scope of the subject have this dreaded object turns when a group of people to the companion is required, and is desirable and undesirable, the owner is looking for multiple ways, becoming more and more need, even equal to the amount of life and even beyond in some of its resources to demand wish to be collected, but upheld the mercy and eternal comfort and tranquility and let him.

From here began a journey to find the submerged swirl poems of this group and we mean the (Umayyad poets spinning) to reveal the cause of the spread of this phenomenon have found that the perception of death, you were equal or not? Is specialize poets spinning virgin mother poets spinning perceived? Why not try a marked (b death when poets spinning in the Umayyad period.(

The idea of research was under the guidance of (Prof. Dr. Mohammed Hussein al-Khatib) who suggest this research urged to study this aspect when this group of poets, and in accordance with the requirements of the subject, which

contained two demands and we mean them (death and spinning) has split Search on three topics: specialize first by showing them to Fezta death and spinning in the language and terminology.

The second section devoted to talk about death as a topic of poetry, as well as overlapping contents when poets spinning.

The third section relates to look for manifestations and cruel death when these poets and how they emerged through the poetic texts.

Oakibna those detectives Conclusion Pena where the most important findings of the study, the most important highlight the big link between love and death and life Love man forget the suffering of a sense of self, anxiety and fear of death because it is human to forget the troubles sense of self and loss of love leads to a sense of alienation and loss, anxiety psychological and thought of death and annihilation.

.Death became when poets spinning like a cross word does not mean anything for the poet. Because it really is dead because of the separation, but perhaps the death Sarahmh and brings him comfort, especially that he would give him freedom with the likes of his life in the other.

.overlapped signify death with time when poets spinning and reflected on capillary action, which came Ontjoh poetry like an expression of what is going on Bjuatarham neighborhood of concerns made them think death two students coming perhaps shorten the duration of their torment worldly:

List as well as the sources and references adopted by the research.

However it must be noted that the study was confined to only seven poets RPR hair that mostly was in one purpose is spinning away from their hair in other Ogrdahm, even with Rod vocabulary death where and only a limited study in special requirement is the subject of research. Praise be to Allah, the Lord of the Worlds

مقدمة:

الحمد لله المتعالي في عظمته المدبر للأمور بمشيئته، والصلاة والسلام على أشرف خلق بريته وخاتم أنبيائه ورسوله، وعلى الطاهرين من آل بيته والمنتجبين من أصحابه.

وبعد...

على رغم من كون الموت ظاهرة متكررة ومعتادة، ولاسيما أنَّه يعد من البديهيات لدى العقل الواعي، والتفكير المنطقي، إلا أنَّه ما زال يشغل حيزاً كبيراً من تفكير الإنسان ولاسيما الشعراء منهم، إذ إنَّ مأساته تزداد عمقاً كلما شارف على أبواب شيخوخته، ووصل إلى نهاية عمره؛ وأصبح قريباً من العودة إلى ثراه الذي جاء منه.

ولكن هذه الآية تتجلى في أماكن تخرج من عرفها ونطاقها الموضوع لها فإن هذا الكائن المخيف يتحول عند مجموعة من الناس إلى رفيق مطلوب، وأمر مستحب ومرغوب، يبحث عنه صاحبه بطرق متعددة، فتزداد حاجته، حتى يساوي في مقداره الحياة بل يتجاوزها في بعض موارده إلى مطلب يتمنون تحصيله بل يعدونه رحمة وراحة أبدية وسكينة ودعة.

من هنا انطلقت رحلة البحث لتغمر عباب أشعار هذه المجموعة ونقصد بها (شعراء الغزل الأموي) لتكشف سبب تفشي هذه الظاهرة لديهم وتبين عن أن النظرة للموت، هل كانت متساوية أم لا؟ وهل أختص بها شعراء الغزل العذري أم شعراء الغزل المحسوس؟ ببحث موسوم بـــ (الموت عند شعراء الغزل في العصر الأموي).

أن فكرة البحث كانت بتوجيه من (الأستاذ الدكتور محمد حسين الخطيب) الذي أقترح هذا البحث وحث على دراسة هذا الجانب عند هذه الفئة من الشعراء ، وطبقا لمقتضيات الموضوع الذي احتوى على مطلبين ونقصد بهما (الموت والغزل) فقد

أنقسم البحث على ثلاث مباحث: أختص الأول منها بتبيان لفظتي الموت والغزل في اللغة والاصطلاح.

وخُصص المبحث الثاني للحديث عن الموت بوصفه موضوعاً شعرياً، وكذلك عن تداخل مضامينه عند شعراء الغزل.

وكان المبحث الثالث متعلقاً بالبحث عن تجليات وضروب الموت عند هؤلاء الشعراء وكيف برز من خلال نصوصهم الشعرية.

وأعقبنا تلك المباحث خاتمة بيّنا فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وكذلك قائمة للمصادر والمراجع التي اعتمدها البحث.

ومع هذا لابد من الإشارة إلى أن الدراسة انحصرت في سبعة شعراء فقط امتاز شعرهم بان اغلبه كان في غرض واحد هو الغزل مبتعدة عن شعرهم في أغرضهم الأخرى، حتى مع ورود مفردات الموت فيها وما ذلك إلا لتنحصر الدراسة في مطلب خاص هو موضوع البحث. والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: الموت والغزل في اللغة والاصطلاح:

١ – الموت والغزل لغة:

الموت ضد الحياة : يقال "مَاتَ يَمُوتُ مَوْتاً وفي لغة طي يَمَات، قال راجزهم:

بَنيٌّ ياسيدة البناتِ عيشي ولا يؤمن أن تَمَاتي

قال الأزهري عن الليث: الموت خلق من خلق الله تعالى: غيره، الموت والموتان ضد الحياة. والموات بالضم: الموت[١]. يقال رجلٌ مَيَّتٌ ومَيْتٌ، قيل: المَيْتُ: الذي مات. والمَيَّتُ والمائِتُ : الذي لم يمت بعد. وقال الفراء: إنما مَيَّتٌ يصلح لِما قد مات ولِما سيموت قال تعالى((إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ)) [٢]وقال الزجاج: المَيْتُ والمَيَّتُ بالتشديد، إلا أنه يخفف والمعنى واحد ويستوي فيه المذكر والمؤنث. قال تعالى ((لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً))[٣]ولم يقل ميْتٌ، وقوله تعالى: ((وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ)) [٤] إنما معناه والله أعلم " يأتيه أسباب الموت" إذ لو جاء الموت نفسه لمات به لا محالة.

والموت السكون ، وكل ما سكن فقد مات ، وهو على المثل. تقول مات الرجل، وهَمَد وهَوَّمَ : إذا نام. وماتت النار موتا: برد رمادها فلم يبق من الرماد شيء. ومات الحرَّ والبرد: باخَ . وماتت الريح: ركدت وسكنت. وماتت الخمر: سكن غليانها. ومات الماء في هذا المكان: إذا نشفته الأرض. وفي الحديث:(الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور) سمي النوم موتاً لأنه يزول معه العقل والحركة تمثيلاً وتشبيهاً لا تحقيقاً [٥].

والميتة: ضرب من الموت وحال من أحواله يقال مات فلان ميتة حسنة. وفي حديث الفتن(فقد مات مِيتة جاهلية)، والميتة: ما لم تدرك تذكيته[٦].

وقولهم موت ومائت: كقولهم ليلٌ ولائل، يؤخذ له من لفظه ما يؤكد به، وفي الحديث: (كان شعارنا يا منصور أمت. وهو أمر بالموت والمراد به التفاؤل بالنصر بعد الأمر بالإماتة. وقوله تعالى: ((فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)) [٧]. قيل كيف ينهاهم عن الموت وهم إنما يماتون ؟ قيل إنما وقع هذا على سعة الكلام وتكثر العرب استعماله والمعنى ألزموا الإسلام فإذا أدرككم الموت صادفكم مسلمين[٨].

أما الغزل لغةً فإنه حديث الفِتيان والفتيات يقول ابن سيدة: الغزلُ والمَغْزِلُ: اللهو مع النساء، ومغازلتهن، أي محادثتهن ومراودتهن، والمتغزل: المتكلف لذلك. ورجلٌ غَزِلٌ ومتغزلٌ بالنساء على النسب. أي ذو غزلٍ. وفي المثل(هو أغزل من أمرئ القيس)، والعرب تقول (أغزل من الحمى) يريدون أنها معتادة للعليل، متكررة عليه، فكأنها عاشقة له. متغزلة به، ويقال: رجل غزِلٌ: أي ضعيف عن الأشياء، فاترٌ فيها، ويقال أيضاً: غازل الرجل الأربعين: أي دنا منها[٩].

لقد تعرض اللغويون إلى مفهوم الغزل وذكروا (الغزل) و(النسيب) و(التشبيب) وعرفوا كلَّ لفظةٍ منهما بالأخرى، بحيث نستطيع أن نقرر أن الكلمات الثلاث مترادفات عند أصحاب المعاجم، بصرف النظر عمن حاول أن يفرق بينها. فقد جاء في لسان العرب: "شبب بالمرأة : قال فيها الغزل والنسيب"[١٠] ويقال "نسب بالنساء :أي شبب بهن في الشعر وتغزل "[١١] .

ذهب الزبيدي في (تاج العروس) إلى أن النسيب والتشبيب والغزل كلها بمعنى واحد، ولكنه ذهب إلى التفريق بينها على سبيل الاستقصاء والدقة إذ يرى أن الغزل هو الأفعال والأقوال الجارية بين المحب والمحبوب وأما التشبيب فهو الإشادة بذكر المحبوب وصفاته، وأما النسيب فهو ذكر الثلاثة أي الناسب والمنسوب به والأمور الجارية بينهما، فالتشبيب داخل في النسيب والنسيب ذكر الغزل[١٢] .

٢ ـــــ الموت والغزل في الاصطلاح:

يعرف الطبطبائي الموت بأنه فقد الحياة وآثارها من الشعور والإرادة بما من شانه أن يتصف بها قال تعالى: ((وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ)) [١٣] . فالموت بما ذكر إنما يتصف به الإنسان المركب من الروح والبدن؛ على اعتبار بدنه هو الذي يوصف بفقدان الحياة بعد وجدانه وأما الروح فلم يرد في قوله تعالى ما ينطق باتصافها بالموت [١٤] .

جاء في كتاب تذكرة الخواص ((إن الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما وتبدلُ حالٍ وانتقالٌ من دارٍ إلى دار)) [١٥] وهذا يعني أنه لا فناء مع الموت، وهو أحد المخلوقات التي خلقها الله لتكون سراً من أسرار الحياة وهو من الآيات الحتمية التي شكلت جزءً كبيراً من وجود الإنسان إن لم نقل جميعه، فهو الكائن الوحيد الذي يقلقه الموت ويحيّر ذهنه لذلك يلجأ إلى معرفة حقيقته ليطمئن روحه. فمنذ أقدم الأزمان وقف الشاعر الجاهلي يبين حقيقة مصيره المحتوم فهذا طرفة بن العبد يصوره لنا بقوله[١٦]:

أرى العيشَ كنزاً ناقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ وما تنقصُ الأيامُ والدَّهرُ يَنْفَدِ
لَعمرُكَ إنَّ الموتَ، مأ أخطأَ الفتى، لكالطِّوَلِ المُرْخى وثنياهُ باليدِ
متى مـــا يـشأ يومـاً يقدهُ لِحَتْفِهِ وَمنْ يـكُ في حبلِ المنيَةِ ينقدِ

فالموت إذن نهاية يرقبها الإنسان كل يوم، وهو لغز غامض لا يدري الإنسان ما وراء هذا المجهول.

وبعد مجيء الأسلام الذي بين كثيراً من المعتقدات في كتابه المعجز. فقد أفاض القرآن الكريم في ذكر الموت لما له من عظيم الأثر في التفكير في الخلق والموعظة وفي ترقيق القلوب وتهذيب النفوس وتمحيص الذنوب والتزهيد في الدنيا والعمل للدار الآخر، فقد ورد لفظ الموت واشتقاقاته في القرآن الكريم مئتان وسبعٌ وعشرون مرةً، فهو قانون أزلي ينطبق على جميع الكائنات الحية دون استثناء وهو غير مرتبطٍ بزمان ولا مكان ولا ينجو منه أي مخلوق. قال تعالى: ((أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ)) (١٧). وهو من أقوى آيات الاعتبار.

أما الغزل بالمفهوم الاصطلاحي، فأنه ((من أقدم الفنون الأدبية وألصقها بالشعر الغنائي. يُفْرض في الصادق منه أن يصدر من أعماق النفس ويكون معبراً عن أرهف الأحاسيس البشرية، لأنه في حقيقته وفي جذوره النفسية اللاواعية مظهرا من مظاهر التَّوْق إلى الخلود بالاتحاد بالجنس الآخر لتأمين ديمومة الحياة)) (١٨).

إن غرض الغزل من الأغراض الشعرية التي قال بها الشعراء قصائدهم وقد جاء الغزل عندهم بأشكال متعددة ومتنوعة، وكلها تصب في بوتقةٍ واحدة إلا وهي الحديث عن المرأة، سوا ء أكان الحديث عن جمالها ومفاتنها أم يكون عن خفة الروح أم الآلام التي يحس بها العاشق المهجور والحرقة التي تصاحب ذلك الهجر وبهذا يكون الشعر محتفلاً بالقلق واليأس والحرقة ويفيض بالأمل واللقاء واجتماع الشمل

إن التعبير عن الغرائز الإنسانية يتكيف فنياً وأدبياً من خلال تأثيره بالعقل وأدواته اللغوية ومفاهيمه وأحكامه ولا تنفلت عنها بالإبانة عنها في واقعيتها المطلقة، فالشاعر قد يتخذ من كلامه عن المرأة وشؤونها مدخلاً للحديث عن المناقب التي تتجلى فيها نفسه، وفي ما يتجمل به من صفات حميدة ، ولا تتراءى المرأة من خلال هذا الشعر إلا بوصفها وسيلة من وسائل عرض الذات ومد ضلالها على الموجودات(١٩).

المبحث الثاني: الموت موضوعاً شعرياً :

شكلت آية الموت، جزءاً كبيراً من وجود الإنسان ــ إن لم نقل جميعه ــ واحتل القلق والحيرة ذهنه، وهو يواكب هذه الديمومة الحياتية الرتيبة مابين الحياة ومتطلباتها وبين سطوة الموت(٢٠)، لما يكتنفه من غرابة تثير العجب في النفس البشرية، حقيقة ماثلة أمام عينه يراها متجددة في كل يوم، حقيقة لا يعرف كيف يرد عليها، ولا كيف يدافع عن نفسه ليسبر مكنوناتها، لذا أفزعته هذه الظاهرة المخيفة، رغم يقينه بحقيقتها ورغم علمه بان الموت واقع لا مهرب منه، وقدر لا مرد له الأمر الذي دعاه لان يبحث عن نمط آخر للبقاء في هذه الحياة ، نمط يحقق له الذكر الحسن في الحياة الدنيا والآخرة ، فسعى إلى ممارسة القيم الأخلاقية، متخذا منها سبيلا إلى نيل والخلود في الدنيا، ما دام الخلود والبقاء الجسدي مستحيلين (٢١). وكما كان للإنسان موقفٌ من الموت، كان له موقفه الآخر من الحياة، فهي التجربة الحقيقية الشاملة والضاربة أطنابها في أعماق الوجود كله، وهي بالنسبة للإنسان الشاعر على وجه اخص، مرد تجربته الشعرية ومحتواها الشامل، ولما كانت الحياة ذات طبيعة فانية، أي تنطوي في صميمها على واقعة الفناء، ويسري فيها قانونه، بوصفه جزئا منها كما وِضَّح ذلك فيما سلف، كان هذا مبعثا لتوتر عظيم يذكي مشاعر الإنسان، ويؤجج عواطفه بالإحساس بالحياة المنطوية على تجربة الموت، فهو يعيش الحياة في مواجهة مستمرة مع الموت (٢٢)، فما هو الموت؟ وما هي حقيقته ؟وكيف يكون؟ وما هو طعمه؟ وماذا بعده؟ أسئلة كانت تدور في مخيلته وليس لديه القدرة على الإجابة عنها .

وبسبب ما انعم الله على الشعراء من موهبة خلاقة موهبة مكنت بعضهم من تصوير مشاكل الدنيا الكثيرة، حازت مشكلة الموت حيزاً كبيراً من تأملاتهم في فنهم: فن الشعر، فن التعبير عن فهم الإنسان للكون وما يتصل به من خلال النفس والوجدان، للتعبير عن الألم والأمل، بما يحويانه من عمق وترقب لكل دقائق الحياة.

ولعل الشعراء هم أحرى من يعيش تجربة الموت من هذا المنطلق، ويعبر عنها، ويجسدها في الصور الشعرية، وعندما نقرا شعر الغزل ـــــ ولاسيما العذري ـــــ ونستبطنه بإدراكنا وآلياتنا يهولنا ما نجده فيه من صور ومواقف متكاثرة، كلها مشحونة بالإحساس بتجربة الموت، ومعبرة عنها في الوقت نفسه، موتٌ متقطعٌ بين رجاء اللقاء الذي يجلب الحياة وخوف الهجر الذي يجلب الموت.

نعم لقد أصبح الشاعر وكأنه يدور في حلقة مفرغة أسهمت في عيشه بدائرة من المفارقة المضحكة فتارةً تراه يعيش في غبطة وإقبال على الحياة، وتارة أُخرى تراه في حيرة وحرمان وهجران لما يجاوره من موجودات، قلما يحس بوجودها.

وبما أنَّ العمل الشعري من حيث الأصل، لا يمكن أن يكون شيئا سوى عملاً رمزياً أو بناءً لغوياً يجسد به الشاعر رؤيته ومشاعره تجاه الحياة التي يعيشها [٢٣]، عن طريق صور حية نابضة، تبين العلاقات الداخلية التي تعبر عن ثنائية الحياة والموت، التي يصادفها الشاعر، أو التي كان يحس انه يمكن أنّ يصادفها، وبهذا فهو يعطينا تصورات كثيرة ومواقف متعددة تدور في ذهنه وتسيطر على عقله ووجدانه وتنقل لنا إحساس الشاعر بالمواجهة الدائمة مع الموت، في مختلف الاتجاهات والميادين، وبمختلف الأغراض التي يطرقها في فنِّهِ الشعري.

يعد شعر الغزل من ابرز موضوعات الشعر، ذلك لأنه تعبيرٌ صادق عن عاطفة صادقة جياشة، وميلٌ إلى الإفصاح عن التجربة الوجدانية التي مرّ بها الشاعر. وهو شعر محبب إلى النفس يتخذ من المرأة وعلاقتها بالرجل أساسا له، فيعبر به الشاعر عن كل ما يختلج في داخله من عواطف وأحاسيس تجاه الحبيب، فالمرأة هي الباعث دوما على وجوده بكل ما تحمله من صفات وكلِ ما تثيره في الرجل من عواطف[٢٤].

لقد أرتبط الحب عند بعض شعراء الغزل الأموي بالحياة والموت. فالعذاب والألم الذي يلاقيها المحب في غياب محبوبه نوع من الانمحاء والموت في حين

تكون لحظة اللقاء مع الحبيبة بعثاً جديدا وحياة. فالعاشق يعيش حالة توهان واغتراب ومفارقة فمرة تراه مفعما بالحيوية والنشوة ومرة تراه وقد انقلب كيانه وتحولت تلك الهالة الجميلة التي كان يعيشها إلى الم ومرارة تجعلاه ممتنعا عن المشاركة في حياة الناس ، يفقد اهتماماتهم اليومية؛ بل يغيب عن نفسه ليحيا بالمحبوب .حب يجعله هملا ينفيه عن الحياة العامة، ويجعله يحيا حياة التيه والتشرد. منقادا لرغبته الحارقة في رؤية المحبوب والاتحاد به . فيصبح وكأنه يعيش موتا دائما لا يكاد يفيق ممّا به إلا ليغرق من جديد في غيابه واستغراقه في المحبوب. يقول المجنون (٢٥):

أمـوت إذا شطّـت وأحيى إذا دنت وتبعث أحزاني الصبا ونسيمها

فالحب مرتبط بالغياب والانمحاء الوجودي، فالمحب غائب عن نفسه وما حوله. فهو يحيا بذكر وحب محبوبه فقط. ينمحي هو ليفنى ويتحد بمن يحب، فالعاشق لكي يحضر فيها المحبوبة يجب أن يغيَّب عن نفسه صفاته ويزيلها، لكي يثبت ذات حبيبته ويتوحد بهذه الذات. فهذا جميل بثينة يبرز لنا هذه المسألة بقوله(٢٦) :

لقد ذَرَفَتْ عيني وطال سُفُوحُها ، وأصبحَ ، من نفسي سقيماً، صحيحَها
ألا ليتَنا نَحْيا جميعاً ، وإن نَمُتْ ، يُجاوِرُ، في الموتى، ضريحي ضريحُها
فما أنا ، في طولِ الحياةِ ، براغِبٍ ، إذا قِيلَ قد سُوّي عليها صَفِيحُها[1]
أظلُّ ، نهاري ، مُستَهاماً ، ويلتقي ، مع الليل، روحي، في المَنام،وروحُها
فهل ليَ، في كِتمانِ حُبّيَ، راحةٌ، وهل تنفعنّي بَوحةٌ لو أبوحُها !

يعكس الشاعر حقيقةً فلسفة سرمدية يعيشها وتكاد تبرز من خلال كلماته المعبرة عن شعوره وما يجيش في وجدانه فتتداخل الأمكنة والأزمنة وتداخلت ضروب الحياة والموت بشكل كبير فالشاعر يعكس ذاته بحكم المتمني في أن يحيا مع من يحب وان مات فالتمني يستمر بان يكون مكان قبره مجاورا لقبر الحبيبة، ثم أن الحياة لا تعني

له شيئاً إذا ما فارقتها بثينة وكانت الأخيرة هي الحياة لا أكثر ولا اقل بها تزدهر وبفراقها وموتها تضمحل وتختفي.

وقوله(٢٧):

ألا تَتّقِينَ اللهَ فيمَن قتلتــهِ ، فأمسى إليكــم خاشعاً يتضرّع ؟

فإنْ يكُ جُثماني بأرضِ سِواكُمُ ، فإنّ فؤادي عندكِ الدهرَ أجمَع

لعل أروع ما يصوره النص تداخل الحياة والموت تداخلا تمتزج فيه الحدود الموضوعة بينهما ؛ فالمحبوبة قاتلة – بوساطة الحب – للشاعر؛ لذاته ونفسه وعمله ومحيطه وكبريائه، حتى أصبح خاشعا متضرعا للمحبوبة طالبا منها ساعة لقاء، كما يبرز في النص دلالة الفراق والاغتراب ؛ فجسد الشاعر بأرض وروحه مع من يحب سائرة . كما وتبرز من النص مفارقة جميلة فهوى الشاعر دائم غير منقطع موصول مع الحبيبة حتى لو فرق الموت بينهما وكان دلالة الموت هنا أصبحت لا تعني للشاعر شيئا؛ لأنه في الحقيقة ميت بسب الفراق وهنا أصبح الموت وكأنه كلمة عابرة لا تعني للشاعر شيئا.

ولم تكن هذه الفكرة لدى شاعر الحب العذري فقط بل شاطره الأمر بعض شعراء الغزل المحسوس يقول عمر بن أبي ربيعة (٢٨) :

أَمــوتُ إذا شَــحَــطَتْ دَارُهــا وَأَحْــيــا إذا أَنــاَ لاقَــيْــتُــهــا

فَــأُقْــسِمُ لَــوْ أَنَّ مــا بــي بــهــا وَكُــنْــتُ آلــطَّبِــيــبَ لَــدَاوَيْــتُــهــا

ورغم أننا لا نريد أن نتحرى درجة الصدق العاطفي لدى الشاعر إلا أن النص يكاد يتابع الفكرة الأولى التي طرقها الشاعر العذري في أول الأمر فحياة المحب مرتبطة بلقاء المحبوبة وموته الروحي إذا ما قررت فراقه حاصل لا محالة .

وقوله[٢٩]:

وَلَـمْ أَرَ لـي لَـذَّةً فـي آلْـحَـيـا ... ةِ تَـلْتَـذُّهـا آلْـعَـيْـنُ حَـتَّـى أَرَاكِ
وَكَـانَ مِـنَ آلـذَّنْبِ لـي عِـنْـدَكُـمْ ... مُـكَـارَمَـتـي وَآتـبـاعـي رِضـاكِ
فَـلَيْـتَ آلَّـذي لاَمَ مِـنْ أَجْـلِكُـمْ، ... وَفـي أَنْ تُـزارِي، بِـرَغْمٍ، وَقَـاكِ
حُـتُـوفَ آلْـمَـمَـاتِ وَأَسْـقَـامَـهُ ... وَإِنْ كَـانَ حَتْفـاً جَـهِـيـزاً، فَـدَاكِ

ينفي الشاعر عن نفسه التمتع بأية لذة في الحياة ما لم تكن عينه متمتعة برؤية المحبوبة بل نراه متمنيا الموت فداءا للمحبوبة وجهازا لها إذا ما طلبت منه ذلك وأجمل ما يعكسه النص استعمال أداة التمني مقترنة بطلب الموت فهل أراد الشاعر أن يصور استبعاد حصول الأخير بسبب الحب اعني الموت . نعم لم تكن دلالة الحب لدى الشاعر مساوية لما هي عند الشاعر العذري فتجربته لم تصل إلى المستوى الذي وصلت إليه عند الشاعر العذري .

ولم يخرج الأحوص عن ذلك بقوله[٣٠]:

تَمُوتُ تَشَوُّقاً طَرَباً وَتَحْيَى ... وأَنْتَ جَوٍ بِدَائِكَ مُسْتَهَامُ
كأَنَّكَ مِنْ تَذَكُّرِ أُمِّ حَفْصٍ ... وَحَبْلُ وِصالِها خَلَقٌ رِمَامُ
صَرِيعُ مُدَامَةٍ غَلَبَتْ عَلَيْهِ ... تَمُوتُ لها المَفَاصِلُ والعِظَامُ

رغم خروج الموت في النص في البيت الأول عن دلالته المعجمية لتصف الموت المعنوي الذي أصاب الشاعر المخمور بحب (أم حفص) موت يجلب الشوق والحياة الرغيدة التي يتمناها الشاعر ولكنه يصدم بكونها حياة مشابهة لحياة من به داء عضال لا شفاء له داء يسمى الحب .

مما تقدم تبرز الصلة الكبيرة بين الحب والموت والحياة فالحب ينسي الإنسان ما يعانيه من إحساس بالذات والقلق والخوف من الموت لأنه ينسي الإنسان متاعب الشعور بالذات وفقدان الحب يؤدي إلى الشعور بالغربة والضياع والقلق النفسي والتفكير بالموت والفناء .

من هنا نصل إلى المفارقة الختامية لهذا المبحث والتي تقول أن الموت عند بعض شعراء الغزل يدور دورانا متصلا ؛ ولكنه دوران لا يتوافق مع صعوبة وعنف هذه اللفظة ووقعها بل يكاد يكون الفراق اشد إيلاما من الموت ، وقد تكون هذه القضية معكوسة لدى شعراء الغزل الحسي خاصة فهي حد فاصل لا أكثر قد يتمنى بعضهم أن يذوقها دون التفكير في لقاء الحبيبة بعد التمتع معها وهذا قد يكون مرده إلى الكذب العاطفي عند بعضهم .

المبحث الثالث: ضروب الموت عند شعراء الغزل الأموي:

١ ـــــ الموت والزمن :

تتجلى العلاقة بين الزمان وفن الشعر ((في مقدار استيعاب الجملة الشعرية لبحث الشاعر عن زمنه الجديد))[٣١] فالشاعر كثيراً ما يماشي التتابع الزمني حين يتحدث عن زمنه الجديد مع شخصيته ، ويستدعي سياقاً مستمراً من الذكريات، التي قد تكون متقطعة ، لترجيح أحداث معينة، تخدم البناء الفني للنص[٣٢] ، فالزمان عنصر من عناصر البنية الكلية للقصيدة ، لأنَّه ((ليس زماناً خارجياً ، بل ذاتي مؤثر ومتأثر بالذات الإنسانية ، وببنية الكلام الفني)) [٣٣]، فهو الذي يغير كل شيء ، وهو في الوقت نفسه المتغير ، إنه المتحرك أبداً ، والذي يحرك ما حوله في كل اتجاه[٣٤] ، لذلك عدَّ الإنسان ((ابناً للزمان ، وضحيته في آن واحد ، فهو يكسبه وعياً وخبرة ، ولكنه في المقابل يحفر في جسده أخاديد مجراه، ويعرضه للهدم والزوال))[٣٥]، لذلك نظر إليه – ومنذ القدم – على أنَّه قوَّة خارقة ومهلكة ، هو الأمر الذي جعل الشعراء ينسبون إليه كل أفعال الحياة والموت ، والخير والشر ، فهابوه وخافوا منه، أكثروا من الشكوى ، ولاسيما عندما لم يجدوا ما يعينهم عليه[٣٦] ، ولم يخرج شعراء الغزل الأموي ولاسيما عند شعراء الغزل العذريّ الذي تدرج فيه أصحابه تدرجاً إلى أن وصلوا إلى أعلى الدرجات ، فقد بدأ ألفة ومودة في الصبا ثم نما مع العمر فصار إلى ما صار إليه من هيام وجنون ليس إلى السلوِ منه سبيل، غير إننا هنا لا نقصد علاقة الحب العذريّ بالزمن الذي احتضن الشعر العذريّ . فذلك زمن خارجي محدود وهو ما نسميه بالعصر، وإنما نقصد زمن الشاعر نفسه أي عمره ،

وهو الزمن المجرد الذي يعيشه كل إنسان ، ثم أن علاقة شعراء الغزل بالزمن تتضمن علاقة هذا الحب بالموت سواء أكان الموت الحقيقي أو الموت المجازي الذي يشعر به الشاعر عند فراق من يحب .

والحق أن ديمومة الحب خلال حياة الشاعر العاشق كلها أهم مظاهر علاقة الحب بالزمن ، حتى غدت الديمومة خاصية من خصائص هذا الحب وموضوعاً فريداً من موضوعات شعره، لأن: النفوس البشرية في تعرضها للحب- عند البعض- لا تلبث أن تخمد وتبرد وتزول كما يزول لهب القش بعد اتقاد وضياء وسطوع-الغزل المحسوس - ، وبعض الحب عاطفة خالدة لا ينال منها إعراض أو ملل أو قسوة وإنما تظل دائماً متوهجة لها في كل حيز من عالم المحب الداخلي جرس لا ينقطع وحنين لا يهدأ، والحب العذريّ من هذا النوع وأنه لذلك يتصف إلى جانب العفة بالديمومة والاستمرارية(٣٧) :

وهذا ما نلاحظه في كثير من أشعارهم كقول جميل(٣٨):

ولو سألتْ مني حياتي بذلتُها ، وجُدْتُ بها، إنْ كان ذلك من أمري

مضى لي زمانٌ ، لو أُخَيَّرُ بينه ، وبين حياتي خالداً آخِرَ الدّهرِ

لقلتُ : ذَرُوني ساعةً وبُثَينَةً على غَفلةِ الواشينَ، ثم اقطعوا عمري

مُفَلَّجةُ الأنيابِ ، لو أنّ ريقَها يداوى به الموتى، لقاموا به من القبر[1]

تتلخص في النص علاقة الحب العذريّ بالزمن والموت علاقة فريدة وأن الزمن العذريّ غير الزمن الاعتيادي الرياضي بل هو الزمن النفسي الدائم وأن الديمومة صفة من صفات الحب العذريّ، وموضوع من مواضيعه فالشاعر هنا لو يخير بين حياته خالدا - وهذا في حكم المحال- لتنازل عن هذا العرض واكتفى بالمقابل بساعة واحدة مع الحبيبة لان هذا الساعة بمنظور الشاعر ساعة أزلية تحقق جل مطامحه وآماله .

وقوله(٣٩) :

شهدتُ بأني لم تَغَيّر مودّتي ، وأني بكم ، حتى الممات ، ضنينُ

يصور الشاعر حياته المتوقفة على مستوى واحد لا يعدل ولا يحيد عن مستوى الحب الدائم الذي لا يتخلخل مهما طال عليه الزمن بل سوف يأخذه معه إلى القبر، انه حب خالد لا رجعة فيه ولا سلوة منه انه الدوام والاستمرارية حب لا انقطاع فيه ولا رادع له سوى الموت، الذي سيجلب الراحة الأبدية لجميل وأمثاله ممن تبلورت لهم فلسفة إسلامية قدمت لهم حياة عادلة أزلية خالدة حياة سرمدية تسمى الآخرة

ولم يخرج كثير عزة عن ذلك وهذا ما يظهر بقوله (٤٠) :

وأصبحتُ مما أحدثَ الدهرُ خاشعاً وكنتُ لريبِ الدهر لا اتضعضع
فما في حياةٍ بعد موتك رغبةٌ ولا في وصالٍ بعد هجرك مطمع
وما للهوى والحبّ بعدك لذّةٌ ومات الهوى والحب بعدك أجمع
إذا قلتُ هذا حين أسلو وأجتري على هجرها ظلّتْ لها النفسُ تشفع

تتداخل الحياة لدى الشاعر وأصبح الدهر ذا سلطان قاهر عليه الآن رغم انه كان لريب الدهر لا يتضعضع فيما سبق وكل هذا بسبب جناية الحب عليه كما إن الحياة بعد موت الحبيبة لم تعد ذات قيمه بل أصبحت مجرد وقت يتمنى الشاعر أن ينقضي بسرعة عله يصل ويرقد بجانب الحبيبة .

ولم يخرج شعراء الغزل المحسوس عن دلالة النظرة السابقة للموت ،ولكن في نصوصهم نجد بعض التحول في النظرة التي اكتسبت بعض السطحية وعدم الشمولية فشاعر هذا اللون من الغزل يقترب في نظريته للموت وعلاقته بالزمن قريبا إلى النظرة الخاصة بالقدر ودوره في تسيير الأحداث ،وهذا ما نلاحظه عند عمر بن أبي ربيعة(٤١):

قُلْتُ لَمّا فَاضَتِ ٱلْعَيْـ ـنَانِ دَمْعاً ذا ٱنْسِكَابِ
إنْ جَفَتْنِي ٱلْيَوْمَ هِنْدٌ بَعْدَ وُدٍّ وَٱقْتِرابِ
فَسَبِيلُ ٱلنَّاسِ طُرًّا لِفَنَاءٍ وَذَهَابِ

ففي النص صلة واضحة بين القدر والزمن فالفراق أمر لابد منه والقدر هو العنصر الوحيد الذي يستحق أن نوجه اللوم له لا النفس البشرية ،ولكن ألا يكون لعدم صدق عاطفة الحب لدى الشاعر دورا في هذا التوجه ؟ نعم هذا الأمر واضحا اشد الوضوح من خلال النص فجفاء المحبوبة بصدودها رغم الدمع الذي سكبته عيون الشاعر أمامها إشارة إلى محاولة الشاعر أن يطمئن نفسه ،وان ينزل السكينة على قلبه بأنه غير مسؤول عن هذا الفراق بل هو راجع للحبيبة وصدودها وللقدر وتجلياته غير المقيدة

ولم يخرج الأحوص عن هذه النظرة وان كان بصورة مختلفة بعض الشيء فهو يبدأ متسائلا مقارنا بين عشقه وعشق من سبقه بقوله (٤٢) :

لاشَكَّ أَنَّ الَّذِى بى سَوْفَ يَقْتُلُنِي إِنْ كَانَ أَهْلَكَ حُبٌّ قَبْلَهُ أَحَدَا
أَحْبَبْتُها فَوَتَغْتُ النَّاسَ كُلَّهُـمُ يَارَبِّ لَا تَشْفِنِى مِنْ حُبِّهَا أَبَدَا
لَوْ قاسَ عُرْوَةُ والنَّهْدِىُّ وَجْدَهُمَا لَكَانَ وَجْدِى بِسُعْدَى فَوْقَ ما وَجَدَا

فما يحس الشاعر به لا بد أن يكون قاتله وان كان الشاعر يقارن بنوع من الاستفهام المتوشح بالإنكار في صدق الحب وقدرته على القتل والهلاك ،وكان الشاعر ينكر ذلك وان حصل ذلك فهو لشدة حبه سائر على هذا الطريق .

كما وتبرز في النص علاقة وثيقة بين الزمن والحب والموت في منظومة يوحي بها النص فهلاكه يتحرك بانسيابية وتدرج فهو دائم ومستمر ولا حدود لمقارنته حتى مع عروة وغيره من الشعراء الذين افنوا حياتهم في وصف وطلب وصال المحبوبة وماتوا في سبيل ذلك .

وتنحصر العلاقة بين الموت والزمن عند العرجي في الليل ؛ ولاسيما أنه عندما ينفرد الشاعر بنفسه(٤٣):

كأني لذكراها إذا الليل جنني أسير عدو أسهرته الجوامع

يرى الموت غنما راحة، والذي به عليه عناء فهو بالموت طامع، فذكرى اللقاء لها وقع شديد على الشاعر يشبهه بجامعة الحديد الموضوعة على رقبة الأسير فهي تثقل كاهله وتقتل نفسه ببطئ لما تجلبه من سهر وألم فيجعل الحب الشاعر في هذا الوضع متمنيا الموت مُرحِّباً به وطالبا له ؛ لا بل قد يكون غنيمة وراحة لذا يصبح الموت لديه مطمح مرغوب به بشدة .

يكشف هذا المبحث عن مدى بروز الوعي بالزمن لدى شعراء هذا العصر وانعكس على العمل الشعري الذي أنتجوه فجاءت أشعارهم وكأنها تعبير حي عما يدور بخواطرهم من هموم جعلتهم يفكرون بالموت طالبين قدومه عله يقصر من مدة عذابهم الدنيوي .

٢ ـــــ الموت والمكان :

يعد المكان جزءاً رئيساً من أجزاء العمل الفني ، وعنصراً لا غنى عنه في التجربة الأدبية[٤٠] ، فهو مسرح لكلمات الشاعر وموحياته ، إذ إنَّ كثيراً من مفردات لغته تنتمي مباشرة ، أو بشكل غير مباشر إلى المكان[٤٤]، بل عدَّ المكان أحد الأبطال الأساسيين في شبكة الأحداث[٤٢]، فهو ((المدخل الأكثر قرباً ، والذي يؤسس عليه المبدع رؤيته الفنية)) [٤٥]، وحين يلجأ الشاعر إلى وصف المكان ، تراه وصفاً غير محايد ، إذ يمتزج الوصف بالأحاسيس والمشاعر والإسقاط الذاتي ، وتوحي بالجو النفسي الذي يغمره[٤٦] ، فالشاعر ((لصيق بالمكان ، وابن شرعي لأحواله ، فهو لا يستطيع أن يغيب الإلحاح المكاني في عمله)) [٤٧] ، وكذلك فإنَّ حديث الشاعر عن الأمكنة ليس زينة ولا تحلية ، إنما المكان جزء أصيل من الحكاية أو الموقف أو الذكرى ، لذا عدَّ المكان جزءاً من حياة الشاعر[٤٨]، وهذه الأصالة التي يضفيها المكان على حكايته تعكس في جوهرها وبكل قوة لدى شاعر الغزل فطبيعة المعيشة المتنقلة والرحلة الدائمة والحركة الدؤبة عن مواطن الماء والكلأ قد خلقت تداخل بين الأمكنة التي يرتادها الشاعر ولاسيما أمكنة الصبا ومواضع لقاء المحبوبة أماكن كثيرا ما تذكرها الشاعر وتاه في جنباتها، وحاول

وصف مواضعها وسكناتها ،أماكن كثيرا ما جلبت أمنية الموت ومرادفاته إلى ذاته ونفسه المعذبة

ولورود المكان في أكثر من دلالة لذا سوف نأخذ أهم تلك الدلالات التي أتت مترادفة مع الموت ومنها .

٣ ـــــ الموت والقبر :

لعل فكرة الموت والقبر تثير الرعب والخوف في النفس، وهذا الأمر ((أمر شائع وعام لدى البشر، ذلك لان الموت يقتحم أفكارنا وحياتنا بطرق شتى ولأسباب متعددة))[٤٩] .

إلا أن هذه الفكرة قد انتفت عند شعراء الغزل– ولاسيما العذري– فهم يرون في الموت الحياة، وفي القبر المسكن الآمن، فالاتصال الروحي بينهم وبين من يحبون نفى لديهم كل شعور بالخوف، فقوة الحب أقوى من سلطان الموت.

فشعراء الغزل العذري شعروا أن هذه الحياة هي مصدر الم وعذاب لهم، في حين أن الموت هو الخلاص من هذا العالم المظلم، فلقاء الموت لديهم هو لقاء الحبيب، لذا نجدهم يرنون إلى الموت مشتاقين، ويترقبونه راجين سرعة حلوله[٥٠] .

وهذه النظرة لم تكن نظرة تشاؤمية بقدر ما هي نظرة واقعية ونهاية حقيقية لهذه الحياة، فالموت لا يشكل هدماً وفناءً، وإنما هو حياة ولون من ألوان النعيم المنتظر[٥١] .

فهذا قيس ليلى يتمنى أن يجمع القبر بينه وبين حبيبته بعد أن تعذر واستحال لقاؤهما في الحياة[٥٢]:

ويا ليتنا نصير إذا متنا ضجيعين في قبر
ضجيعين في قبر عن الناس بمعزل ونُقْرَن يوم البعث والحشر والنشر

تظهر دلالة الحسرة والمرارة والاغتراب المكاني للشاعر من خلال إحساسه بافتقاده للمكان الذي يتمنى السكن فيه مع من يحب ،حتى وان كان ذلك المكان لا يتعدى

القبر ،كما تبرز في النصر حركية مثيرة تستغل التواصل الزمني في نقل الأحداث والصور والمواقف فمن حياة تجمع الشاعر بالحبيب إلى موت وقبر معزول عن الناس إلى الاقتران بالمحبوبة يوم البعث والحشر والنشر ولكن كل ما تقدم يعكس مفارقة مشبوبة بالحزن لان كل ما تحدث به الشاعر كان في سبيل المتمنى والذي لا يتوقع حصوله كونه من المحال .

والأمر نفسه يتكرر عند جميل بثينة وذلك بقوله(٥٣) :

تجاور،إذا ما متُّ بيني وبينها ياحبذا موتي إذا ما جاورت

فالموت حياة وأمنية لدى الشاعر إذا ما ضمن مجاورة المحبوبة له في القبر .فدعوة المجاورة التي لا يتوقع الشاعر حصولها ولكن الشاعر في سبيل تحقيقها سيبذل الغالي والنفيس لذلك حتى لو كان مكان المجاورة لا يتعدى القبر المظلم لان ظلامه سيستحيل نورا مع الحبيبة .

وفي بعض المواقع نجد الشاعر في حكم المحاور للقبر والمشخص له ومضفي عليه صفة الحياة والمطالب – وان كان بنوع من الإشارة الخفية – إكرام الجسد المسجى فيه كون صاحب هذا الجسد يتمتع بخصال تؤهله لمثل هذا التكريم كقوله(٥٤) :

أيا قبر ليلى لو شهدناكَ أعولت عليك نساءٌ من فصيح ومن عجَمْ
ويا قبر ليلى أكرمن محلَّها يكنْ لك ما عشنا علينا بها نُعمْ
ويا قبر ليلى إنَّ ليلى غريبةُ بأرضكَ لا خلٌّ لديها ولا ابنُ عمْ
ويا قبر ليلى ما تضمنْتَ قبلها شبيهاً لليلى ذا عفافٍ وذا كرمْ

فالشاعر يكرر لفظة قبر ليلى لأكثر من مرة معبرا في ذلك عن حالته الشعورية المشحونة بالألم والأسى الذي أصابه بعد موت ليلى كما تبرز في النص جمالية العروض المطروحة على القبر ومنها طلب الإكرام ، الذي سيكون في مقابله نعم كثيرة

سينالها هذا المكان كما إن الشاعر يكنى وبطرف خفي إلى هذا القبر بأنه قد كرم ورفع من شانه لأنه تضمن ليلى صاحبة الكرم والعفاف وهذا ما رفع شانه وسمى به . واسهم التكرار في النص أيضا في بث دلالة إيحائية للشاعر وللمتلقي في الوقت نفسه دلالة عكست شعور الأسى والحزن الذي يكاد يعتصر قلب الشاعر ويمزقة حنوا وألما على الفراق الأبدي الذي جلبته ذيول الموت لحبيبته .

٤- الموت وبيت الحبيبة :

يتداخل في نص شعراء الغزل الموت مع قبر الحبيبة والذي كان في أكثر قصصهم وأشعارهم يدل على حاضنة للموت إذا ما أراد أن يزور التي يحب يقول[٥٥] :

أتـهجـرُ بـيتـاً لـلحبـيب تـعلّقـتْ بـه الحبُّ والإعـدامُ أم أنتَ زائـرُه
وكيف خلاصي من جوى الحب بعدَما يُسَـرُّ بـه بـطنُ الفؤادِ وظـاهـرُه
وقد مات قبلي أوَّل الحبِ فانقضَى فإن مِتُّ أضحى الحبُّ قد مات آخرُه

يبدأ النص بالاستفهام الإنكاري الذي يبرز استحالة هذا الفراق بل إن الشاعر دائم الزيارة لهذا المكان لان موطن الذكريات وموطن المعشوقة الراحلة انه الذكرى التي لا تكاد تفارق ذهنه فكيف يترك هذا البيت وقد نمت عنده وفيه بذرة الحب الخالدة والتي بذل لرعايتها وإنمائها الغالي والنفيس بل لم يتوانى عن بذل نفسه في سبيل ذلك عندما كان يزورها خاصة بعد أن يستبد جبه الشوق والهيام .

٥ ـــــ موت الحبيب :

من المفارقات العجيبة في شعر الغزل العربي في العصر الأموي مفارقة موت المعشوقة قبل عشيقها وهذه المسألة وجدناها في بعض قصصهم الحقيقية ،فرغم طلب الشاعر المفارق للموت والرغبة في تحصيلة إلى انه سرعان ما يجد الأخير قد تحرك وخطف من كان يتمنى الموت في سبيلها ولعل ما حصل لمجنون ليلى خير دليل على ذلك يقول[٥٦] :

أيـا نـاعيْ ليلى بجـانبِ هضبـةٍ أمَـا كـان ينْعـاها إليَّ سِـوَاكما
ويـا نـاعيْ ليلى بجـانبِ هضبـة فمن بعـد ليلى لا أمـرَّت قـواكُما
ويـا نـاعيْ ليلى لقـد هجتُمـا لنـا تبـاريحَ نـوْحٍ في الـدِّيار كـلاكُما
فـلا عِشتمـا إلا حليفيْ مصيبـةٍ ولا مُتُّمـا حتى يـطول بَـلاكُـمـا
وأسلمتِ الأيّـامُ فيهـا عـجبائبـا نبـوْتُكـمـا إنـي أحـبُّ رَدَاكـمـا
أظـنُّكـمـا لا تعـلمـانِ مُصيبـتـى لقـد حَلَّ بينُ الـوصلِ فيمـا أراكُما

فهذا المقطع يصور الحالة الذهنية التي أصبح عليها الشاعر بعد ان سمع نعي ليلى أمامه وكان لبنية التكرار التي اجتمعت مع الاستفهام في النص دورا كبيرا في هذا التصوير الذي عكسته لفظة (هجتما لنا ، وتباريح النوح) ومع هذا أيضا نلاحظ التحول الذي أصاب حالة الشاعر فهو وكأنه غير مهتم بالموت كمفردة بل نراه يهتم بتفاصيل الحادثة فهو يطالب بان يكون ناعي الحبيبة ذو مواصفات معينة (خلقية وأخلاقية)لابد من توفرها لدية حتى يستطيع أن يصور ويحقق الهدف المنشود من النعي ،كما نلاحظ أن الناعيين لم يسلما من لسان المجنون إذا توجه به للدعاء عليهما بمصاحبة المصائب ودوام العيش بالبلاء والألم، وهذا النص والدعاء نازل سواء كان الناعي إنسان أم كان شيء قد عرض لقيس في الفلوات وتطير منه كالغراب مثلا.

والأمر ذاته يتكرر مع كثير والذي نكب بعزة فقال(٥٧):

وأصبحتُ مما أحدثَ الدهرُ خاشعاً وكنتُ لريبِ الدهر لا اتضعضع
فما في حياةٍ بعد موتك رغبةٌ ولا في وصالٍ بعد هجرك مطمع
وما للهوى والحبّ بعدك لذّةٌ ومات الهوى والحب بعدك أجمع
إذا قلتُ هذا حين أسلو وأجتري على هجرها ظلّتْ لها النفسُ تشفع

فهذا الموت جعله خاشعا لضروب الدهر متضعضعا لصروفه ومقدراته وأصبحت الحياة والموت سواء لا للهوى والحب فيهما آية لذة وجمال بل إن الهوى مات لموت المحبوبة وأصبح مجرد كلمة تقال نعم النص يكاد يشع بالاغتراب الذي يحسه الشاعر

واخذ يحسه ويشعر به حتى مع تقادم الزمن ومحاولة النسيان فان النفس تعود لتذكره بما فقد من حبيبة وصاحبة .

٦ ـــــ موت الشاعر(رثاء النفس) :

يبرز لدى شعراء الغزل لون آخر من الرثاء، هو رثاء النفس، إذ يتوجه الشاعر فيه إلى ((رثاء نفسه عندما يحس بأنه بين يدي موت أكيد محقق استشهاد في ارض معركة أو قتلا أو أسرا أو موافاة منية)) [٥٨] ، ويعد رثاء النفس أي (تجربة الموت الفردية) من أهم تجارب الموت في حياة الإنسان وأكثرها حرجا وخطورة ، فهي النهاية الحقيقية والانقطاع الأبدي عن هذا الوجود والدنيوي الذي يعيشه ، والإنسان عندما يحس بأنه قد دخل في نطاقها أو اقترب منها ينبعث في نفسه إحساس قوي بالذات ومشاعر أليمة مشفقة والشاعر أحيانا يتجه إلى وسيلة الكلمة الشعرية يعبر بها عن هذا الإحساس ويجسد بها ما يلقاه من انفعال قوي بمفارقته للحياة [٥٩] [٥٧]يقول قيس بن الملوح[٦٠] :

فيا رُبَّ إِذْ صيرتَ ليلى هيَ المنى فزِنِّي بعينيها كما زنتها ليا
وإلا فبَغِّضْها إليَّ وأهلها فإني بليلى قد لقيتُ الدواهيا
على مِثل ليلى يقتلُ المرءُ نفسه وإن كنتُ من ليلى على اليأس طاويا
خليليَّ إن ضنُّوا بليلى فقرِّبا ليَ النعشَ والأكفانَ واستغفِرا ليا

فالمجنون هنا وكما تشير اغلب الروايات يصف لحظاته الأخيرة في الحياة فهو يرثى نفسه ويصور معاناته وما يحس به من الم لا الم النزع بل الم الفؤاد الذي امتلئ بالحب فمات جريحا ومات صاحبه غريبا متوسدا حجارة الوادي الذي وجد فيه بعد موته [٦١] .

الخاتمة:

كشفت دراستنا للموت عند شعراء الغزل في العصر الأموي جملة من النتائج منها

١-تبرز الصلة الكبيرة بين الحب والموت والحياة فالحب ينسي الإنسان ما يعانيه من إحساس بالذات والقلق والخوف من الموت لأنه ينسي الإنسان متاعب الشعور بالذات وفقدان الحب يؤدي إلى الشعور بالغربة والضياع والقلق النفسي والتفكير بالموت والفناء.

٢-أصبح الموت عند شعراء الغزل وكأنه كلمة عابرة لا تعني للشاعر شيئا . لأنه في الحقيقة ميت بسب الفراق ، بل لعل الموت سيرحمه ويجلب له الراحة ولاسيما انه سيعطيه الحرية مع من يحب في حياته الأخرى.

٣-تداخلت دلالة الموت مع الزمن لدى شعراء الغزل وانعكس على العمل الشعري الذي أنتجوه فجاءت أشعارهم وكأنها تعبير حي عما يدور بخواطرهم من هموم جعلتهم يفكرون بالموت طالبين قدومه عله يقصر من مدة عذابهم الدنيوي .

٤-كثيرا ما يأتي الموت لدى شعراء الغزل وهو مشخص يحس ويشعر ويحاور ويتحرك حتى يصبح لديهم وكأنه نديم ملازم لهم يشعرون به ويتمنون ملاقاته.

٥-تبرز في حياة وشعر شعراء الغزل ولاسيما العذري منهم مفارقة جميلة تتمثل بموت الحبيبة قبل الشاعر والحبيب المعذب الذي أفنى عمره متمنيا الموت نراه يفجع بمن تمنى لها الحياة الأمر الذي يصيبه بنوع من التوهان ،فلا هو مصدق بموتها ولا يستطيع رد الخبر وتكذيبه ،وهنا تصبح حياة الشاعر غير محسوبة فهي لا تمثل شيئا سوى الأيام القلائل التي سيقضيها في الحياة الدنيا منفردا قبل إن يجتمع شمله بالحبيب .

الهوامش:

[١] لسان العرب :٢/٩٠-٩١، مادة (موت).
[٢] الزمر /٣٠.
[٣] الفرقان/٤٩.
[٤] لسان العرب :٢/٩٠-٩١، مادة (موت).
[٥] المصدر السابق٢:/٩٢.
[٦] المصدر السابق :٢/٩٣.
[٧] البقرة/١٣٢.
[٨] المصدر السابق:٢/٩٢، مادة (موت).
[٩] المصدر السابق:١١/٤٩٢، مادة (غزل).
[١٠] المصدر السابق:١/٤٨١، مادة (شبب).
[١١] المصدر السابق:١/٧٥٦، مادة (نسب).
[١٢] ينظر تاج العروس من جواهر القاموس: مادة (غزل).
[١٣] البقرة :٢٨
[١٤] ينظر ماذا بعد الموت. محمد حسين الطبطبائي:١٣
[١٥] تذكرة الخواص . القرطبي:٤.
[١٦] ديوان طرفة بن العبد:٥٣.
[١٧] النساء:٧٨.
[١٨] المعجم الأدبي. جبور عبد نور:١٨٦.
[١٩] ينظر المصدر السابق:١٨٧.
[٢٠] ينظر الموت والعبقرية:٥.
[٢١] ينظر: ملحمة كلكامش:١١٠.
[٢٢] ينظر الشخصية بين الحرية والعبودية:٤٧ ــ ٤٨.
[٢٣] الحياة والموت في الشعر العربي في صدر الأسلام والعصر الأموي:٢٧٢.
[٢٤] الحياة والموت في شعر صدر الأسلام:٦.
[٢٥] ديوان قيس بن الملوح(مجنون ليلى):٦٠.
[٢٦] ديوان جميل بثينة:٦٧.
[٢٧] المصدر السابق:٢٩.
[٢٨] ديوان عمر بن ابي ربيعة:٨٦.
[٢٩] المصدر السابق:٢٩٥.
[٣٠] شعر الأحوص الأنصاري:٢٣٩.
[٣١] اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي؛ تلازم التراث والمعاصرة:١٨٧.
[٣٢] ينظر : الملامح السردية في شعر عمر بن ابي ربيعة:٩٩.
[٣٣] كتاب المنزلات. طرّاد الكبيسي:١/٢٨.
[٣٤] ينظر الزمن عند الشعراء العرب قبل الأسلام:٩.
[٣٥] ينظر: الحياة والموت في شعر صدر الأسلام:٢٨.
[٣٦] ديوان جميل بثينة:٢٤.

[٣٧] المصدر السابق:٤٥.
[٣٨] شعر الأحوص الأنصاري:٤٠٩.
[٣٩] ديوان عمر بن ابي ربيعة:٤٩.
[٤٠] شعر الأحوص الأنصاري:١٢٧.
[٤١] ديوان العرجي:٤٦.
[٤٢] ينظر الأتجاه النفسي في نقد الشعر العربي:٢٤٣ ــ ٢٤٤.
[٤٣] ينظر: جماليات المكان:٢٣١.
[٤٤] ينظر الزمان والمكان في روايات غائب طعمة فرمان:٧٥.
[٤٥] الموت في شعر السياب ونازك الملائكة(دراسة مقارنة:١٢٣.
[٤٦] ينظر: الملامح السردية في شعر عمر بن ابي ربيعة:٨٥.
[٤٧] الأسس النفسية للتجريبق الشعري:٤٦.
[٤٨] تطور الغزل بين الجاهلية والأسلام:٣٠٩.
[٤٩] قلق الموت. احمد محمد عبد الخالق:٣٨.
[٥٠] المصدر السابق:٢٠.
[٥١] قراءة جديدة لشعرنا القديم:٦٥
[٥٢] ديوان قيس بن ذريع:٦٦.
[٥٣] ديوان جميل بثينة:٨٩.
[٥٤] ديوان قيس بن الملوح:٧٧.
[٥٥] المصدر السابق:٥٦.
[٥٦] المصدر السابق:٦٠.
[٥٧] ديوان كثير عزة:٢٣٩.
[٥٨] شعراء صدر الأسلام في دائرة الموت:٣٠
[٥٩] الحياة والموت في الشعر الأموي:٢٧٤.
[٦٠] ديوان قيس بن الملوح:١٢٦.
[٦١] المصدر السابق:١٢٦.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، عبد القادر فيدوح، منشورات: اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٢ م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، المطبعة العثمانية، (د. م)، ١٣٢٩ م .
- تاج العروس، من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، لبنان (د.ت).
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. القرطبي، المكتبة التوفيقية، (د ـــــ ت).
- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، شكري فيصل،دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، (د .ت).
- التعريفات، لأبي الحسن علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١ م .
- جماليات المكان، جاستون باشلار، ترجمة: ليون يوسف، وعزيز عما نويل، دار المأمون ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٩ م
- ديوان جميل بثينة،دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،١٩٨٢م.
- ديوان العرجي، رواية أبي الفتح عثمان بن جني (ت.٣٩٢هـ) شرحه وحققه: أخضر الطائي ورشيد العبيدي، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة، بغداد.١٩٥٦م.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، قدم له ووضع هوامشه: الدكتور فايز محمد، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٩٦م.

- ديوان طرفة بن العبد. تحقيق وشرح كرم البستاني، مكتبة دار صادر، بيروت ـــ لبنان،(دـــــــــ ـت).
- ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه: د.إحسان عباس، نشر وتوزيع: دار الثقافة، بيروت – لبنان،١٩٧٠م.
- ديوان قيس بن ذريع (قيس لبنى)، اعتنى به وشرحه : عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ،٢٠٠٤م.
- ديوان قيس بن الملوح (مجنون ليلى) رواية أبي بكر الوالبي، دراسة وتعليق: يسري عبد الغني، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٩م.
- الزمان والمكان في روايات غائب طعمة فرحان ، دراسة نظرية تطبيقية، د. علي إبراهيم ن الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق – سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٢ م
- الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الله الصائغ، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢ م .
- الشخصية بين الحرية والعبودية، فؤاد كامل، دار المعارف، مصر، ١٩٨١م، (سلسلة كتابك ١٤٠) .
- شعر الاحوص الأنصاري: جمعه وحققه: عادل سالم جمال، قدم له: د. شوقي ضيف، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م.
- الصحاح، للجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٨هـ) ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار، مطبعة دار الكتاب العربي ، مصر (د. ت) .
- القاموس المحيط. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (ت ٨١٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م .
- قراءة جديدة لشعرنا القديم: صلاح عبد الصبور، عرض محمد محمود قرانيا، الفيصل، الكويت، دار الفيصل الثقافية، ١٩٨٨م.

- قلق الموت، تأليف د. احمد محمد عبد الخالق ، سلسلة كتب ثقافية وشهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٧٨م .
- كتاب المنزلات. طراد الكبيسي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، بغداد – العراق ، ١٩٩٥ .
- كشاف اصطلاحات الفنون. محمد علي بن علي التهانوي (ت ١٢هـ) ، مطبعة أقدام بدر الخلافة العلمية، ١٣١٧هـ.
- لسان العرب: الإمام أبو الفضل جمال الدين، ابن منظور. دار صادر– بيروت ٢٠٠٠.
- اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي (تلازم التراث والمعاصرة)، محمد رضا مبارك ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد – العراق ، ط١ ، ١٩٩٧ م .
- ماذا بعد الموت. محمد حسين الطبطبائي، بيروت لبنان ، دار الصفوة.(د.ت)
- ملحمة كلكامش ، طه باقر ، ، دار الحرية ، بغداد ، ط، ٤ ١٩٨٠ م .
- المعجم الأدبي. جبور عبد نور، دار العلم للملايين، بيروت ـــــ لبنان، ط٢، ١٩٨٤.
- الموت والعبقرية ، عبد الرحمن بدوي ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٨م .

الرسائل الجامعية:

- الحياة والموت في شعر صدر الإسلام، نهى محمد عمر الدليمي، أطروحة دكتوراه مطبوعة بالآلة الكاتبة ، كلية الآداب – جامعة الموصل ،٢٠٠٤م.
- الحياة والموت في الشعر العربي في صدر الإسلام و العصر الأموي: حميدة حسن نعمة. (رسالة ماجستير بالآلة الكاتبة)– جامعة بغداد/ كلية الآداب ٢٠٠١.
- الملامح السردية في شعر عمر بن أبي ربيعة ، محمد صالح عبد الرضا عبد الله ، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٢ م
- الموت في شعر السياب ونازك الملائكة (دراسة مقارنة) ، عيسى سلمان درويش ، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٣ م

الدوريات:

- الأسس النفسية للتجريب الشعري، د. ريكان إبراهيم، مجلة (الأقلام) ، ع (١١-١٢) بغداد ، ١٩٨٩ م .
- شعراء صدر الاسلام في دائرة الموت، علي كمال الدين الفهادي، مجلة التربية والعلم جامعة الموصل، العدد ١٤، السنة ١٩٩٤م .